

التطورات الفنية في الأسطورة الشعبية

مريم كريفيق *جامعة الجلفة*

- د. عبد الوهاب مسعود *جامعة الجلفة*

- مخبر المخطوط والمصطلح والادب الجزائري المكتوب في الصحافة

ملخص :

تعتبر الأسطورة "تاريخ البشرية الأولى" ترجمت ملامحه الدقيقة، عبارات الخيال الإنساني بإستقراء تاريخ الآلهة 'وهو تاريخ عصر الأبطال'، كان الإنسان يعجب "بالقوة" وهذا ما حدث عند اليونان بخصوص تطور (مفهوم الآلهة) انتقلت من البطولة البشرية "البربرية" إلى التقديس، كما هو شأن الأصنام والأوثان العربية التي عبدت في العصور الغابرة .

Abstract :

The myth of "the history of mankind first" translated its precise features, the words of human imagination by extrapolating the history of the gods 'the history of the era of heroes', was admired by "force" and this is what happened in Greece regarding the evolution of the concept of gods moved from human heroism "Berber" to sanctification , As is the case with Arab idols and idols that were worshiped in ancient times.

لم تكن للإنسان مقدرة على خلق الأساطير الا مع تطور " الحياة البشرية"، تكون المجتمع، فنشأ تدريجيا إشباع عن طريق "التخييل" يرى "يونس" أن الأساطير هي رواسب نفسية لتجارب ابتدائية لا شعورية لا تحصى، شارك فيها الأسلاف في عصور بدائية، وقد ورثت في أنسجة الدماغ بطريقة ما. فاللاوعي الجماعي يختزن الماضي الجنسي، الذي ولد "الأبطال الأسطوريين البدائيين"، ولا يزال يولد "أخيلة فردية" مشابهة للرجل المتمدن، نجد تعبيره في رمزية تتجاوز حدود الزمان، غير أنها غير مألوفة نسبيا، وهي "رمزية" ما تزال تتكرر دوما .

تصور الأساطير "كفاحا" بين الذات الفردية المؤمنة بخلودها، وبين الذات السلافية المجسدة في الإيديولوجية الجنسية التي تنبذ الخلود الفردي في سبيل الزواج والأولاد، وهو معروض في أسطورة "أوديب" بطريقة رمزية كنزاع خارجي بين الأب و الإبن .

يرى "بريك فرم" أن هذه الأسطورة "الأوديبية"، لا تفهم كرمز للعلاقة الجنسية المحرمة بين الأم والإبن، بل كثورة من قبل الإبن ضد سلطة الأب في العائلة البطريركية، حيث يسيطر الأب مما يعني انتزاع الإبن كل ما كان يمتلكه الأب بما في ذلك زوجته .

ظلت الآراء النفسية حول الأسطورة تشغل بال القدماء، في سبيل تفهم الإنسان والكشف عن عقله الباطن، وعن مورثاته البعيدة .

مفهوم الأسطورة الشعبية :

ان الأسطورة هي مجموعة من "الصور الشعرية المركبة" التي تصور قوى الطبيعة (نار - ماء - هواء - تراب) وعواطف الإنسان (الشهوة - الطمع - الغضب ..) مثل زيوس، صيغة المفعول : DIA صيغة تابعة للفاعل ZAN/ZEN لهما وقع اللغة اليونانية على (ديا = بواسطة) و (زن = يعيش) ومعنى ذلك : يعيش بواسطة، مما يشير إلى : زعم أن زيوس هو القوة التي بواسطتها يجري كل شئ، أي إنه القوة الواهبة للحياة .

توصل "ماكس مولر" إلى "أن الأسطورة نشأت نتيجة قصور في اللغة، مما أدى إلى أن تكون للشئ الواحد أسماء متعددة، كما أن الاسم الواحد يطلق على أشياء مختلفة .".

إن "الأساطير اليونانية" و "الأعمال الأدبية" مستوحاة من الكتب المقدسة كانت الأمم الأولى تفكر بالشعر، وتحدث بأساطيرها، وتكتب خطأ "هيراوغليفا" .

إن الشاعر و صانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد، لديهما (موهبة أساسية واحدة) هي القدرة على التشخيص، ولا يستطيعان أن يتأملا شيئاً دون أن يمنحاه حياة داخلية، وشكلاً إنسانياً وكما يرى شكري عياد "الأسطورة لا تتعارض مع العقل، لأنها ليست خليطاً أوهام، أو مجموعة من هذيان العواطف وخبل الرؤى وهواجس الظن والخرافة .. إن للخيال في الأساطير منطقها الخاص

نستنتج أن الشعر والأسطورة وسيلتان "تعبير" جمالية تهب الحياة لما لا حياة فيه، وتشخص الأشياء بقدرة عالية في البيان، وتسمو بها إلى عالم الفن والخيال . يرى الباحثين "ريتشاردز" و "كولريدج"، بأن الأساطير العظيمة ليست أوهاماً، بل هي منطوق النفس الإنسانية كلها، وهي ليست متعة أو ملاذاً للهرب حتى تطلب للراحة والفرار من حقائق الحياة القاسية . إنها صيغة للتوافق بين الإنسان وبين العالم وعليه فإن للأسطورة علاقة بالعقل، وبالنفس البشرية، وبالعالم . وهي ليست وسيلة للتسلية، ولا هي أوهام بعيدة كل البعد عن التأمل . لكن الأسطورة منطقها الخاص .

ويفرق الدكتور محمد عبد المعيد خان بين الميثولوجيا mythology وبين الأساطير MYTHES فالأول هو علم الأساطير، وهو علم من العلوم الحديثة، لم يكن معروفاً عند العلماء الأقدمين . يبحث في التفكير ومناهج النظر، ويرينا كيف شرع الإنسان الأول بالتفكير في نفسه، ثم في خالقه، وفي الرابطة بينه وبين الموجودات معنوية كانت أو مادية .

ويبدو أن في هذا التقديم إشارة إلى " الميثولوجيا " كعلم يبحث في الأساطير ،مما يستخلص أن التفكير الأسطوري يعتبر بداية أو أساس كل تطور فكري ،حتى ان الباحث في ميدان يكاد يسيئ الظن بالأوائل ويتهممهم بالقصور الفكري .ولو أتاحت لنا فرصة العيش في زمنهم ،وعلى نمط حياتهم ،لبدا لنا أن فكرنا هو القاصر .فالتفكير يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ومدى تأثير أصحابه به .

يبرز الدكتور خان أن العلماء قد ذهبوا في تعريف الأسطورة مذاهب شتى :

- يعتقد زينوفانس أن الأساطير حكايات القدماء في الدين .
- ويرى سقراط أن صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل أسماء الأصنام.
- ومنهم من ذهب إلى استنباط فلسفة الأولين منها ،مثلثياجينيس =TEAGENESالذي سلك مسلك أصحاب التشبيه والمجاز ،فقال مثلا إن القتال بين الآلهة ليس بمقاتلة حقيقية ،بل يعبر بها عن التنازع بين عناصر مختلفة كالهواء والماء والنار والتراب ،أو بين عواطف نفسانية كالحب و العداوة .
- وغير هؤلاء (هوميروس) يرى أن الأسطورة هي تاريخ في صورة متحركة .
- وقد زاد ماكس مولر أن الأساطير مرض من أمراض اللغة = DISEASE OF LANGUAGE ومن خلال هذه الآراء يتضح أن هناك اتفاقا حول مفهوم الأسطورة كفلسفة في الحياة :وسيلة من وسائل التعبير الفني ،يقصد أصحابها إبلاغ رسالة إلى المتلقي ،إلا أنها تبرز أن كل واحد من هؤلاء المفكرين انحاز إلى نوع من أنواع الأساطير وعلاقتها حسب منظوره الشخصي ،لكنهم لم يضعوا لها تعريفا جامعاً مانعاً ،وذلك بحكم قربهم من منبع الأساطير آنذاك .

ومن الذين اهتموا بدراسة الأساطير أيضا ،رايتسن سميث ، يرى أن الاسطورة هي تفسير لشعائر الدين ،وقواعد متعلقة بالعادات ،في حين يذهب لليوساسبنس إلى أن الأسطورة من أهم عناصر الذين القديم ،استخرجت من العادات والتقاليد أما أندري لانج فيقول : "إن التصور الديني ينبعث من ذهن الإنسان في حالة التفكير السريع الذي يطرأ عليه ويحملة على عبادة كل شئ مخيف أو مفيد ،لكن الفكرة /الأسطورة تنشأ من حالة غير التي ذكرناها ،أو بعبارة أخرى ،إنها تنبعث من حالة ذهنية يلعب فيها الوهم والوسواس بالنفوس لا يستطيع المرء التعبير عنها بكل دقة ،نظرا لسرعة الحدث والتفكير السريع فيه ؟

وبالرجوع إلى الدكتور عبد المعيد خان ،نجد أن الأسطورة ليست هي الفولكلور ،ولاهي القصة ،إنها شئ مختلف عن ذلك تماما ،وهو يؤكد على أن الأسطورة – خاص عند العرب – هي "آراء البداوة التي تطرق ذهن الجاهلي وتخطر بباله ،وتختلج في قلبه لحل معتقداتها ،فهي قديمة العهد وبعيدة عن الوضوح ومحتوية على عناصر عدة ،إلى حد أنه من المستحيل أن نرى فيها سببا لكل ناموس من نواميس الحياة الفكرية" .

ومن الملاحظ أن عبد المعيد خان قد استطاع وضع أصابعه على تعليل منطقي وتفسير يميل إلى العقل أكثر منه إلى التخصص في مجال علمي دون آخر .ولهذا ،فان الأساطير كما تبدو لنا ،ملبنة بالحركة والتشويق والرموز يلعب فيها "التخييل" دورا كبيرا ،والنفس

ترتاح إلى مثل هذا النوع من المتن الحكائي، وإلى حد ما، رغم أن الهدف ليس هو "التسلية". وهذا ما دفع الدكتور خان إلى القول: "أن الخيال مفتاح أبواب الخرافة وأساس توليد الأساطير .

ومن هذا المنطلق سوف ندقق النظر في مفهوم الخيال، دون التوسع فيه لما تكتنفه من الصعوبات. ونتوقف مع ويليام جيمس في اعتباره الخيال قسمين: خيال تصوري = reproductive imagination و خيال إبداعي = productive imagination

يربط عبد المعيد خان دراسته للأساطير العربية بين الأسطورة العربية وبين الخيال التصوري، ويستنتج من فكرته هذه أن الأساطير العربية بنيت على التصور أكثر مما بنيت على الإبداع، أي أن الأسطورة مستقاة مما يتصوره الإنسان العربي الجاهلي، لا مما يسعى إلى إبرازه وإظهاره كعنصر جديد لم يسبق إليه. وقد بين الدكتور أن تفكير الأمة العربية مر بأطوار حسب علماء الميثولوجيا، وهذه الأطوار هي: ما قبل المذهب الحيوي Totémisme: المذهب الحيوي: Animisme، المذهب الطوطمي: Monothéisme: تعدد الآلهة: Polythéisme، توحيد الآلهة: Monothéisme.

. تطورات الأسطورة الشعبية من خلال الانواع الادبية

سنحاول أن نكشف تطور الأسطورة من خلال الإشارة الى تطورات مشابهة حدثت في أنواع إعلامية وأدبية.

أولاً: التطورات المشابهة للأسطورة: حدثت تطورات مهمة في أنواع أدبية رافقت القصة والرواية والألوان المسرحية الأخرى والتي كانت من بين الأنواع التي تناقلت الأسطورة ولهذا وجب التركيز على هاته التطورات في البداية.

1- التراجيديا: أن التراجيديا استعملت للدلالة على ان الشاعر المتسابق للحصول على أفضل عمل درامي، فهو نوع مسرحي تطور عن طقوس الاله ديونيسوس التي كانت تجري في شهر مارس ويدور موضوعها حول البعث والموت وهياستعراض لطقوس قديمة، حيث ارتبطت بالحركة الدينية، مصورة آلهة الرومان واليونان في الأحقاب البائدة، وتطورت عند اليونان من دينية إلى جمالية في شكل نشيد شعري انشده جوقة من الكهنة في احتفالات ديونيسوس، وعند أرسطو تعتبر التراجيديا فنا نبيل على طول معلوم بلغة ذات إيقاع وتتم المحاكاة بين أشخاص يفعلون لآبواسطة الحكاية تثير الرحمة والخوف فيؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات بغرض إحداث تنقية على المستوى الجسدي والعاطفي أي بمعنى تفرغ لشحنات العنف الموجودة داخل الإنسان.

رتبطت الأسطورة منذ القدم بأنواع تراجيدية كتراجيديا الانتقام تدور حول انتقام البطل لموت عشيقته أو التراجيديا البطولية التي تظهر البطل كفارس لا يموت ثم تراجيديا الخليط التي تتناول كل الإشارات المتداولة في المجتمع ثم التراجيديا الكوميديا التي يقترن بها المحزن بالمضحك.

2- الدراما:

هي فن من الفنون التي قدمتها الأسطورة القديمة لكل الوقائع التي تحمل الإشارة وهي تدل على المسرح كفن وكتاريخ وتعني أيضا العرض والأداء ففي كل الأحوال تعالج مشكلة من الحياة على أساس يثير الخوف والشفقة ونهايتها تبقى مفتوحة كحال حكايات التي تحكيها الجدة، والفرق بين الأعمال الدرامية تظهر في كونها خيالية أكبر منها حقيقية فالدمويات، التي كان يأتي ذكرها في مختلف الأساطير والقصص الخرافية، إنما تذكرها تلك القصص من باب إثارة الخوف والشفقة، فلو أطلقنا على القصص الخرافية التي جمعها الأخوين " جرام" 1 على الدراما، لوجدنا أن أغلبها يرمز إلى مفاعل الخوف والإثارة والشفقة وهو ما يؤكد أن الطابع الدرامي كان أحد سمات القصص الخرافي، ولعل ما يعطي ذلك أحقية في الطرح هو ما صورته القصص الخرافية في عصر الرنكوو2 من مبالغاة دموية أخلطت كثيرا بالأعمال السحرية وهذا في الأصل عند النرويجيين تشابك الحكايات الخرافية المسافرة من جيل إلى جيل ومن وطن إلى وطن .

فكان أكثرها قد استقر في بلاد غربية ولا غرابة أن نجد قصصا بوزية أو هندية تروي في جنوب إفريقيا ومرد ذلك إلى التشابه الذي حدث بين التصورات العقائدية الواردة في الأسطورة .

كما هناك عدد كثير من المفاهيم الأدبية التي تتشابه إلى حد كبير بالأسطورة، والتي يجب الإشارة إليها لتوضيح بعض الفروقات التي تميزها عن الأسطورة ومن بينها :

أ - مفهوم الرواية :

ارتبطت الحكاية قديما بالأدب الكلاسيكي 2 فهي تعني عرض مفصل لإحداث مرت بها التجارب الإنسانية، حيث حملت أفكار المجتمعات القديمة وجعلت منها صوانا صالحا لكل زمان ومكان، فخلافا على أنها محملة للتجارب صورت بطولات القدماء ومغازي المعاصرين 3، أيضا حافظت على تطور الأحداث التاريخية ذلك أنها نقلت أحداثا شتى للأجيال وبذلك يمكن أن توصف الحكاية بأنها روح التاريخ الإنساني .

فالرواية هي صورة من الصور الأدبية نثرية في طرحها للمواضيع وهي ترادف كلمة قصة وبعد القرن 17 أخذت معنا خاصا سمي بالقصة النثرية لحادث خيالي ولعل الشيء الذي طور القصة النثرية هو الخيال الواسع الأسطوري، حيث بدا الناس يصورون في حياتهم أشياء غريبة من الخيال لاصلة لها بالواقع عكس الزمن المعاصر

حيث امن الناس بالتنوع في الحياة فقاموا بكسر طابو القدامة حتى يسهل لهم الاقتراب من الواقع وعند هذا الحدث تولدت الروايات المختلفة العاطفية المغامرات التاريخية وقد صور جورج لولانج 4 لرواية بأنها عاشت عصورا حديثة وموضوعها هو المصير الردي 5 وان ابرز سمة شكلية تميز الرواية عن الأنواع الكلاسيكية هو اعتمادها على اللغة النثرية .

ب - مفهوم القصة :

تعتمد القصة على السرد ونقل الحوادث من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية مركبة، حسب التكوين الثقافي لكل إنسان، وهي في كل الحالات تعبر عن مجموعة من الوقائع بشخصياتها في إخطار الرأي العام بمجموعة من الوقائع المختلفة التي يعيشها الإنسان، ورغم أن القصة المروية تختلف من إنسان إلى آخر، فهي تعكس نظرة الكاتب اللغوية والمعرفية عكس الإنسان العادي الذي لا يملك مؤهلات لغوية وما يتيسر في هذا الصدد هو توفر الحكمة أو البناء القصصي فلا تشترط أن تكون هناك علاقة بين الوقائع لأن الإشارة يحددها البطل بينما يشترط أن تكون علاقة بين الهدف أو النتيجة فإذا كانت حيزية تريد الزواج من سعيد رغم منافسة سعيد فإنها إما أن تنجح أو تفشل والنجاح والفشل هما النتيجة ومن أجلها سيواجه سعيد مصاعب كبيرة.

1- عناصر القصة :

تتوفر القصة على عناصر منها :

- المقدمة وهي شرح مختصر لما سيأتي
- الوقائع وهي صور وأثار تحتاج إلى بناء حتى يفهم الصراع المولد للحركة القصصية وتحسم العقائل المسطرة في ذلك الصراع
- الشخصية هي الحكمة التي يراها القارئ تتحرك أو يسمعها وهي تتكلم
- الزمان والمكان كلحكاية أو قصة أو رواية أو أسطورة ترتبط بزمان ومكان وقعته الحوادث التي يتضمنها العمل المروي مهما كانت صفته.
- الفكرة هي جوهر أي عمل قصصي أو روائي أو رسالة إعلامية هو فكرة يقع خلفها معنى أو هدف وهي أساس كل بناء .
- أ- مفهوم المحاكاة:

نعني بالمحاكاة ذلك التقليد أو صنف من خطاب يحاكي الشيء الخارجي فهي تقليد لتقليد ونسخة من نسخة ، فمهما كان العمل المحاكي فهو شيء ظاهري وليس أصلياً أفكار الناس يستحيل الوصول إليها 6 بينما يرى أرسطو أن المحاكاة غريزة وقاعدة الأعمال النفسية ولا تعني عنده مجرد تصوير للأحداث وإنما إعادة ترتيبها فالمحاكاة هي توظيف لثقافة لغوية تختص بنقل بطريقة تخمين مدروسة لما يعيشه الآخر فعلية إعادة

عرض الأفعال البشرية مبدأً مشابهة للحقيقة يفصل بينهما عنصر المصادقية ، فعندما نقرأ قصة بجماليون لتوفيق الحكيم فلا يعني هذا أننا نعيشها بكل موضوعية لأنها مجرد نقل ومشابهة بالحقيقة .

ثانيا :مراحل تطور الأسطورة, :

مرت الأسطورة بعدة مراحل نجملها في الشكل التالي:

- مرحلة العصر الأول: تمتد مرحلة العصر الأول من القرن الثالث قبل الميلاد نقلت في هذه المرحلة حكايات الإغريق والهنود ذات الأبعاد الدينية والروحية الفيتشية.

- مرحلة العصر الثاني: تمتد من القرن الثالث عشر بعد الحروب الصليبية و كل الحكايات التي حكيت تناقلت عبر كثير من الباحثين، أهمها بحوث "الإخوة جرم" اللذين جمعا كل الحكايات الخرافية، على روايتها الأصلية ثم أضاف الأخ الثاني وليم حبكة لغوية لتهديبها لأنها نقلت في بدايتها بأخطائها اللغوية.

ويعني بتطور الأسطورة هو وصول مغزاها سالما من أي تحوير، لأن الصفة الغالبة على الأسطورة هو الحكاية الغربية ذات الارتباط المتشعب بالخيال الواسع أو السحر، فلا يوجد تطور لهذا المغزى من الآخر، بل التطور حدث في أساليب نقلها من الأدباء والشعراء، فقد ظهرت في الشرق مجموعات قصصية أسطورية، عرفت بملتقى التيارات لمختلف الحكايات للشاعر الكشميري "اوماديو" وفي الغرب ظهرت مجموعات الأناشيد الدينية التي هي في الحقيقة نسخ مذهب من الأساطير المذهبة التي شهدها القرن الثالث قبل المسيح، وفي القرن الثالث عشر، ظهر تبايطاليا مجموعة "دب كامرون" للشاعر "بوكاشيو" 7

مجموعة 13 ليلة ممتعة لـ "إستر ابارولا" ثم مجموعات "الأخوين جرم" بفرنسا وحكايات أمي لوي وبألمانيا حكايات الذئب والنعاج السبعة وعند العرب حكايات ألف ليلة وليلة لابن المقفع أصبح واضحا إن كل بقعة في العالم تمتلك رصيذا خرافيا من قصص خيالي حاول الأدباء دراسة مناهجها للإجابة على سؤال كيف حافظت على تواجدها رغم البعد الخرافي بين الحضارات،؟ لا شك أن في ذلك سر لاطالما حاول الباحثون الإجابة عليه وسوف نذكر بعض تلك الدراسات .

الهمجية، والبربرية والمرئية وهي تقسيمات مبالغ فيها، عكس ما ذكره ابن خلدون في المقدمة بأن الأمم القديمة، جاءت إلى المدينة بعد قهر الحمية المتوحشة التي أفرزتها الطبقة ويفسر هذا الاتجاه نظريتي (إدوارد تايلور، جيمس فريزر) وسنذكرهما على سبيل توضيح هذا الاتجاه الذي غلب على الأسطورة .

- نظرية تايلور (1873م):8: تعلقت هذه النظرية بفكر الثقافة البدائية التي زادت الحياة تعلقا عند المبتدئين وهو ما جعل تايلور يضيف الابتكار والإبداع عند الشعوب القديمة التي حولت السحر والنجوم والأشجار إلى نماذج حية وذهب تايلور بعيدا في إبداعه، عندما قسم الفصيلة الأسطورية إلى نظام شمولي ظهر على شاكلة نظام العولمة وهي نظرية تتشابه وتختلف كما أكد ذلك الدكتور " أو شاطر " في رسالته مع فقهاء آخرين الإخوة حدي في النظرة الوجودية عند شعوب إفريقيا وأستراليا، التي تسلبه فيما يخص الأمراض والنوم إلا أنه لم يعزل تماما من مفاهيمه الخالدة بين الأسطورة و التاريخ.

- الاتجاه الوظيفي 9 رأي زعماء هذا الاتجاه الوظيفي برفض منطق استخدام الأمم السابقة للفصل الأسطوري، ويجب إبعاد دراسة تاريخها لأنه في رأيها مهدر للوقت، دائما يجب الربط بين الأدب الشعبي والأسطورة والدين مع متطلبات الحياة كما دعي إلى ذلك (فرانز دواس 1858-1942م). وقد قدم "مالينوفسكي" نموذجا لتفسير الأسطورة من هذا الاتجاه من خلال مناشدته لتطبيق جملة من القيم الثقافية.

أ- نظرية مالينوفسكي: إن مالينوفسكي انتقد بدوره الأحداث الأسطورية وقال هي متطلبات وحاجات يعايشها الفرد من خلال معاينتها بصفة شخصية لا تروى أية حصول علمي يميزها عن التصرفات المعرفية، بل يوجد لها منحى مغاير يذهب إلى الاعتقاد بالسير على حد ما زعمه عبد الحميد يونس 10 بأنها تحمل نزاعات دينية عتيقة لتحقيق احتياجات عملية.

- الاتجاه البنائي 11 يري أنصار هذا الاتجاه وجود إجحاف في حق الأسطورة والملحمة والحكم من طرف الدارسين الذين اهتموا بالأنواع الإبداعية الأخرى، ولهذا فإن الوحدة الجمعية اللاحقة التي وجدت مجموع من الفقهاء (كاندريه بوليس) في الكشف على آليات الترابط بين الأساطير قيدت لصالح العقل الجمعي الذي يحيط به دائرتين "دائرة العالم الكبير" و "دائرة العالم الصغير" وهي الفكرة التي مهدت إلى نشوء محاولة "بروب التحليلية" (المورفولوجية) التي نشأت على دراسة المكونات الأساسية للأسطورة.

4- أنواع الأسطورة وطرق انتقالها:

عرفت الأسطورة عدة أنواع صنفها الباحثون وفق معايير تاريخية وعلمية نذكرها مفصلة بالطريقة التالية:

أ- الأسطورة الطقوسية: ترمز إلى كل ما قيل من ملفوظات ذات مغايري

ب - أسطورة التكوين : كل الملفوظات التي تصور عملية خلق الكون .

ج- الأسطورة التعليلية : تعلل كل الحوادث المذكورة في المغايري .

د - الأسطورة الرمزية: تتضمن رموزا تتطلب التفسير.

هـ- أسطورة البطل الإله : يتميز فيها البطل بأنه مزيج من الإنسان والإله ، (البطل المؤله) الذي يحاول بما لديه من صفات إلهية أن يصل إلى مصاف الآلهة، ولكن صفاته الإنسانية دائما تشده إلى العالم الأرضي ويقسمها الدكتور أحمد كمال زكي12 إلى أربعة أنواع هي :

- الأسطورة الطقوسية .

- الأسطورة التعليلية.

- الأسطورة الرمزية.

إن تنوع الأساطير، يؤدي إلى تنوع تعاريفها، لأن كل تعريف يتأثر بنوع الأسطورة، أو بنوعين أو ثلاثة أنواع، ولذا يبقى التعريف قاصرا على أن يكون جامعا مانعا، ويسمح هذا التنوع بظهور مناهج :

- المنهج اليوهيمري: ينظر للأسطورة على أنها قصة لأمجاد أبطال وفضلاء غابرين.

- المنهج الطبيعي: يعتبر أبطال الأساطير ظواهر طبيعية.

- المنهج المجازي: ينظر للأسطورة على أنها قصة مجازية تخفي أعماق معاني الثقافة.

- المنهج الرمزي: بمعنى أن الأسطورة قصة رمزية، تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها، لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة.

- المنهج العقلي : يبين ان نشوء الأسطورة كان نتيجة سوء فهم ارتكبه أفراد في تفسيرهم ، أو قراءتهم أو سردهم لرواية أو حادث .

- منهج التحليل النفسي : يضمن أن الأسطورة تحتوي على رموز الرغبات غريزية وانفعالات نفسية .

تتشترك الأجناس الأدبية مع الأسطورة في بعض عناصرها، مثل الخرافة اللامنطق اللامعقول، اللازمكان

ان الخرافة هي الحديث المكذوب، وذكر ابن الكلبي (حديث خرافة) وهو تمثيل لرجل من بني عذرة، أو من جهينة، اختطفته الجن، ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذبوه، فجرى على السن الناس، وروى عن النبي (ص) أنه قال (وخرافة حق) وفي حديث عائشة قال لها حدثيني، قالت ما أحدثك حديث خرافة وهي تختلف عن الأساطير في أن الخرافة تنقلها الناس بلغتهم الدارجة، في الوقت الذي احتفظت فيها الأساطير بلغة فصيحة، كما أن الأسطورة ترجع إلى ما قبل الأديان، أما الخرافة فقد ظهرت بعد الوثنية ، ولذا يغلب عليها الطابع التعليمي والتهذيبي، والبطل فيها يكون بعيدا عن الواقع .

إن استخدام العناصر الخيالية يهدف إلى التشويق والإثارة، أما بنية الأسطورة اتمتاز بالبساطة، وتسير في اتجاه خطي واحد وتحافظ على تسلسل منطقي، ينساب في زمان ومكان حقيقي.

وصنفت الأسطورة حسب زمان و مكان وقوعها إلى عدة أصناف منها :

أولاً: الأساطير حسب الموطن: توجد أنواع من الأساطير ينبغي إدراجها حسب الموطن:

- الأساطير الأصلية: ترتبط بتلك الأنواع المرتبطة ميتولوجيا بين شعوب العالم وهي أساطير قابلة للتوسع، تحمل أصول حقيقية تجمع بين طياتها كل الوحدات الوظيفية، كالأساطير بلاد الرافدين، أساطير الطوفان التي تناولت النصوص البابلية والأشورية أو لماس التي عثر عليها في عصور آشور باش نال في بينوني .

- الأساطير المهاجرة: إن ما يثير التساؤل هو تشابه الأساطير المصرية والصينية إلى درجة أنه ذهب اعتقاد بعض الباحثين أن مكان إقامة تلك التجمعات في مكان واحد هو اعتقاد يرفضه المؤرخون و ما أصبح يدل على الشك هو سفر تلك الأساطير، ولعل ما عمق ذلك هو ما وسع أفق التعارف بين تلك المجتمعات .

ثانياً: الأساطير حسب الموضوع:

تحمل الأساطير في دلالتها النصية مواضيع كثيرة تتناول حياة الكون وأخلاق الإنسان، النسيان والجمال وهذا ما جعلنا نصنفها حسب المواضيع، وجعلت (هنري هوك) 14 يبددها إلى خمس أساطير "أسطورة الطقس"، "أسطورة الأصل" و"الأسطورة السنية"، و"أسطورة العبادة والبعث" ووضع (حاتسينون) أصناف أخرى سماها أساطير الأصول وأساطير التنظيم .

أ- أساطير عن الآلهة والكائنات السنوية: اشتهرت في هذا الصدد الأساطير العاطفية كأسطورة تموز والونيس .

ب- أساطير الإحرام السنوية: أساطير المس و القمر المعروفة عند المتدينين.

ج- أساطير الأبطال: وهي التي تتولى تعظيم العلماء و الصالحين.

خلاصة القول أن الأساطير تصف الاقتحامات المختلفة، وفي بعض الأحيان المأساوية، للمقدس (أو المافوق) في العالم المادي، وهذا الاقتحام هو الذي يؤسس حقيقة الكون ويجعله على الصورة التي هو عليها الآن . وأكثر من ذلك، صار كائناً فانياً شقياً ثقافياً، نتيجة تدخل الكائنات المافوقية . وهكذا يمكننا اعتبار الأسطورة قصة مقدسة . وهي بذلك قصة حقيقية لأنها تحيل دائماً على الحقائق، فأسطورة أصل الموت هي الأخرى أسطورة حقيقية لان فناء الإنسان يثبت ذلك .

هوامش الدراسة:

01- شفيق معلوف: عبقر منشورات العصابة الأندلسية - دار الطباعة سان باولو ، البرازيل 1949 - ص 289

02- الخطيب محمد كامل: الرواية و الواقع - دار الحداثة ، بيروت 1981 - ص 40

03- الخطيب محمد كامل : المرجع السابق - ص 113

04- شفيق معلوف: عبقر- منشورات العصابة الأندلسية - نقلا عن كتاب جورج لولانج- دار الطباعة والنشر سان باولو برازيل 1949- ص 289.

05- حكاية مروية عن المعمره عباسي بنت لطرش: عاصرت حيزية بنت مبارك بالارباع، سنة 1922 بصحراء الشايفة نواحي تاجموتبالاغواط

- 06- الدكتور بوكروخ مخلوف: محاضرات في النقد قسم الإعلام جامعة الجزائر غير منشورة - سنة 2002 ص125
- 07- نبيلة ابراهيم: الحكاية الخرافية ومناهج دراستها - دار القلم بيروت بدو تاريخ ص 145
- 08- ادوارد تابليز مبادي علوم التنظيم ترجمة رشيد غنام مطبعة دار الملايين بيروت 1989 ص 103
- 09- هدوارد تايلور مبادي التنظيم المرجع نفسه ص 45
- 10- ابراهيم الخطيب مورفولوجي الخرافة ، الحركة المغربية للناسرين سنة 1986 ص 10²
- 11- احمد رشتي صالح الفنون الشعبية دار لقلم 1961 ص 135³
- 12- أحمد شمس الدين الحجاجي: الاسطورة في المسرح المصري المعاصر - دار المعارف، القاهرة 1984 - ص 130.
- 13- اوشاطر الاسطورة في التراث الشعبي ، رسالة دكتوراه جامعة تلمسان سنة 2002 ص 180
- 14- غرييه الان دون ،نحو رواية جديدة ترجمة ابراهيم مصطفى دار المعارف القاهرة ص:180